فن المقال

بين القديم والحديث

الدكتور / عبد الجواد احمد محمد احمد
مدرس الأدب والنقد فى كلية
اللغة العربية جامعة الأزهر بأسيوط

مفهوم المقال :

المقال والمقالة فى اللغة مشتقان من القول وتستعملان فى معناه ، أى الكلام ، وقد ورد فى القاموس المحيط : (القول : الكلام أو كل لفظ مذل (١) به اللسان تاما أو ناقصا ، جمعه أقوال وجمع الجمع أقاويل : أو القول فى الخير ، والقال والقيل والقالة فى الشر أو القول مصدر ، والقيل والقال اسمان له . أو قال قولا وقيلا وقولة ومقالة ومقالا فيهما » (٢) كما كثر ذكر المقال فى الآثار الأدبية التى خلفها أسلافنا على امتداد العصور وحفظها التاريخ الأدبى من ذلك قول النابغة الذبيانى :

وأخبرت خير الناس أنك لمتنى
وتلك التى تستك منها المسامع
مقالة ان قلت سوف أنالـه
وذلك من تلقاء مثلك رائع (٣)

---

(١) مذل به اللسان : أفاه .
(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادى ٤/٤٢ .
(٣) ديوان النابغة الذبيانى ص ٤٧ ، ٤٨ .

وقول كعب بن زهير :

مقـــالة الســـوء الى أهلهـــا
أســـرع من منحـــدر ســـائل
ومن دعـــا النـــاس الى ذمـــه
ذمـــوه بالحـــق وبالباطـــل (٤)

وقول حسان بن ثابت :

مـــا ان مـــدحت محمـــدا بمقـــالتى
لكننى مـــدحت مقـــالتى بمحمـــد (٥)

وجاء فى خطبة الوداع : « نضر الله امرأ سمع مقـالتى فحفظها ووعاها وأداهـا ، فرب حـامل الى من هـو أفقـه منه » (٦) .

وقال محمد بن حازم ، أحد شعراء بنى العباس :

لحـــا الله قومـــا أعجبتهـــم مـــدائحى
فقـــالوا مقـــالا فى ملام وفى عتب (٧)

وقال محمود سامى البارودى مفتخرا :

أنا فى الشـعر عريق لـم أرثـه عن كـلاله
كان ابراهيـم خـالى فيه مشهور المقالة (٨)

---

(٤) راجع الطبع والصنعة لمحمد السهيباوى ص ١٥٠ .
(٥) ديوان حسان ثابت ص ٢٠٥ .
(٦) المقال وتطوره فى الأدب المعاصر د/ السيد أبو ذكرى ص ١١ .
(٧) راجع كتاب الهلال ص ٤١ العدد ٢٩٨ .
(٨) شعراء مصر وبيئاتهم للعقاد ص ١٢٨ .

وقرظ طه حسين مقالا للطفى السيد فقال :

بمثـل مقـــال الأمس يعجب كـاتب
أديب ويرضى عـــــاقل وحـــكيم
حقـائق غر يصرع الشـك نورها
كما يصرع الليل البهيم نجـوم (٩)

وكان أحمد زكى أبو شادى يردد دائما بينه :

ولى كـل يـــوم مـوقف ومقـــالة
أنادى ليوث العرب ويحكموا هبوا(١٠)

نلحظ فيما تقدم أن كلمـة « المقـال » وردت فى آثار أسـلافنا منـذ الجـاهلية حتى عصرنا الحـاضر ودارت على ألسنتهم وترددت فى أحـاديثهم ومحـاوراتهم وشـاعت فى مجتمعاتهم العامة والخاصة على السـواء ، وتركز معناها ـ كما رأينا ـ فى الحديث المباشر الذى يناجى القلب ويخاطب الوجدان رغبة فى توضيح موقف أو نهيا عما لا يستحسن أو تنبيها على فضل سابق ، وأملا فى ارشـاد ونصـح ، أو فخرا بالآباء والأجداد أو الاعجاب بموقف مشـهود ومقـام معلوم .

والمقالة والمقال : اصطلاح مستحدث يطلقان على لون

---

(٩) راجع مجلة الهلال ص ٨١ عدد فبراير ١٩٦٦ خاص بطه حسين.

(١٠) راجع العدد ٢٩ ص ٢٣٩ من سلسلة أعلام العرب الخاص بأحمد زكى بقلم احمد الجندى ..

من النثر يتناول فكرة أو رأيا بالشرح المختصر فى صفحات قليلة ليس دراسة عميقة كالبحث المستوفى ٠

والمقال لا يحاول أن يشمل كل الحقائق والافكار المتصلة بموضوعه ، انما يختار جانبا أو بعض الجوانب ـ ليس كلها ـ ليجعلها موضع اهتمامه ، وهذا الاختيار للجانب المعين أو بعض الجوانب لتكون موضع الاهتمام هو مناط ما فى المقال من فن ، بل ان المحك الأساسى فى ذلك هو مقدار ما عند الكاتب من مهارة فى هذا الاختيار ، وكلما حسن اختيار الكاتب لمقالاته علا شأنه وسمت منزلته بين كتاب المقال ٠

ثم ان المقال الفنى ليس حشدا من المعلومات وليس كل هدفه أن ينقل المعرفة بل لابد الى جانب ذلك أن يكون مشوقا ولا يكون المقال كذلك حتى يعطينا من شخصية الكاتب بقدر ما يعطينا من موضوعه ، فشخصية الكاتب لابد من أن تبرز فى مقاله ، لا فى أسلوبه فحسب بل فى طريقة تناوله للموضوع وعرضه اياه ثم فى العنصر الذاتى الذى يصنفه الكاتب من خبرته الشخصية وممارسته للحياة العامة ٠

والمقال يبدأ بفكرة تكون فى رأس الكاتب مدة من الزمن تنمو فيها وتكبر وتأخذ الشكل السوى ، وهى فى تلك المدة من النمو تتغذى من ملاحظته وقراءاته المتعددة ومن خبراته الشخصية ومن هنا اعتمد المقال على الحكاية والمثل والاشارة الى جانب المادة التحصيلية وكل ذلك يتشكل ـ حين يأخذ

صورته النهائية ـ بحالة الكاتب النفسية ومعنى هذا أن الكاتب يحدد مشروع مقاله قبل أن يكتبه بحيث تتوجه كل مادته على اختلاف أنواعها الى جلاء فكرة واحدة فى جميع جوانبها ، وفى الوقت الذى يحرص فيه الكاتب على تماسك مقاله وقوته ، نجده حريصا على امتاع قارئه » (١١) ٠

والمقالة ليست دراسة ولكنها كلام ليس المقصود به التعمق والتركيز ، وهى فى مدلولها الحديث ثرثرة بليغة محببة يبدأ صاحبها ولا يعرف كيف ينتهى » (١٢) ٠

والمقالة (١٣) ـ أيضا ـ كتاب صغير وهى حقا كذلك لأنها ينبغى أن تحتوى على فكرة مختصرة فى صفحات محدودة ، كرأى يريد صاحبه عرضه على الناس ويشترط فى المقالة أن تهدف الى غرض وأن تنتهى اليه مكتوبا بلغة سليمة وفكر منير اذا المقصود منه التقريب لا الابعاد » (١٤) ٠

ويرى بعض (١٥) الباحثين أن المقال : « قطعة نثرية محدودة الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من التكلف والرهق وشرطه الأول أن يكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب » ٠

---

(١١) راجع الادب وفنونه لعز الدين اسماعيل ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ ٠

(١٢) راجع أدب المازنى د٠ نعمات احمد فؤاد هامش ص ١٦٠ ، ١٦١ ٠

(١٣) المقال والمقالة بمعنى واحد ٠

(١٤) نظرات فى أدبنا المعاصر ٠ لزكي المحاسنى ص ١٠٥ ٠

(١٥) محمد يوسف نجم فى كتابه فن المقالة ص ٩٥ ٠

وقد أشار العقاد الى طريقة كتابة المقال فقال : « انه يكتب على نمط المناجاة والأسماء وأحاديث الطرق بين الكاتب وقرائه وأن يكون فيه لون من الوان الثرثرة أو الافضاء بالتجارب الخاصة والأذواق الشخصية » (١٦) . والمقال قبل كل شيء عمل فنى يستدعى اتقانه والتبريز فيه واقتران الموهبة بالممارسة والتجربة فتلتقى حينئذ فى كاتب المقال الصفات العقلية بالمزايا الشخصية لأنه ـ أى المقال ـ تعبير عن وجهة نظر خاصة « (١٧) .

وفى الامكان أن نستخلص من التعاريف السابقة للمقال بأنه : « نمط من التعبير الحر المصور لأحداث الحياة وصور المجتمع نتعرف به على ملامح كل جديد وخصائص كل مبتكر وسمات كل مستحدث من سياسة وأدب واجتماع ونقد وعلوم فى أقرب وقت وبأقل جهد .

ومن ثم يكون المقال فنا نثريا يقف بجانب القصة والأقصوصة والمسرحية والرسالة والخطبة ، ونظرا لأن الفنون الأدبية لا تنحصر فى نطاق محدد فقد أخذ المقال من السيرة والقصص رسم الشخصيات ومن المسرحية الحوار ، ومن القصيدة النفس الشعرى .

(ج) نشأته وتطوره :

عرف العرب كتابة المقالات منذ ظهور الكتابة الفنية

---

(١٦) فرانسيس بيكون ترجمة العقاد ص ٢٣ .

(١٧) راجع دراسات فى الادب العربى الحديث ومذاهبه للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ص ٤٢٧ .

عندهم فى العصر الاموى ، ثم ارتقت تلك المقالات فى العصر العباسى فى المشرق والمغرب وان كانوا لم يطلقوا عليها اسم « المقال » فى تلك العصور المتقدمة ، وانما كانت تعرف عندهم باسم الرسالة والمراد باصطلاح الرسالة هذا عندهم ليس الرسائل الديوانية ولا الرسائل الاخوانية ، وانما كانت نوعا من الرسائل تعالج موضوعات علمية أو أدبية كرسائل اخوان الصفا مثلا ، وما كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، الا مجموعة مقالات تقوم المقالة الواحدة منها على فكرة بعينها ، لا يلبث الجاحظ حتى يستطرد الى فكرة أخرى تأخذ شكل مقالة جديدة قد لا تربطها بالمقالة السابقة رابطة ظاهرة .

ومن أبرز الرسائل ذات الصلة بما نسميه « المقال » اليوم رسالة « الحاسد والمحسود » التى بدأها الجاحظ بقوله: « وهب الله لك السلامة وأدام لك الكرامة ورزقك الاستقامة ودفع عنك الندامة ، كتبت الى — أكرمك الله — تسألنى عن الحسد ما هو ؟ وأين هو ؟ وما دلائله ؟ وأفعاله ؟ وكيف تفرقت أموره وأحواله ؟ وبم يعرف ظاهره ومكنونه ؟ ولم صار فى العلماء أكثر منه الجهلاء ؟ ولم كثر فى الأقرباء وقل منه فى البعداء ؟ وكيف دب فى الصالحين أكثر منه فى الفاسقين ؟ وكيف خص به الجيران من جميع الأوطان »(١٨) .

فقد افتتح الجاحظ رسالته بعناصر عدة ناقشها عنصرا

---

(١٨) مجموعة رسائل الجاحظ ط ٢ جمع ونشر حسن السندوبى ط ١٩٣٣ .

تلو عنصر وعالج خلالها ظاهرة الحسد معالجة أدبية تنفر منه وتقلل من قيمة الحاسدين وما يترتب عليه من أضرار تقع بالحاسد والمجتمع ، استمع اليه اذ يقول :

« الحسد أبقاك الله داء ينهك الجسد ويفسد الأود ، علاجه عسر ، وصاحبه ضجر وهو باب مضر وأمر متعذر ، فما ظهر منه فلا يدارى وما بطن منه فمداويه فى غناء»(١٩) ثم يقول : « وما أتى المحسود من حاسد الا من قبيل فضل الله تعالى اليه ونعمته عليه والحسد عقيد(٢٠) الكفر وحليف الباطل وضد الحق وحرب البيان .. فمنه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومنهج كل وحشة ومفرق كل جماعة وقاطع كل رحم من الأقرباء ومحدث التفرق بين القرناء وملقح الشر بين الخلطاء ، يكمن فى كمون النار فى الحجر ، ولو لم يدخل — رحمك الله — على الحاسد بعد تراكم الهموم على قلبه ، واستكان للحزن فى جوفه وكثرة مضضه ، ووسواس ضميره وتنقيض عمره وكدر نفسه ، ونكد لذاذة معاشه الا استغفاره لنعمة الله تعالى عنده وسخطه على سيده ، بما أفاده الله عبده وتمنيه عليه أن يرجع فى هبته اياه ، وألا يرزق أحدا سواه لكان عند ذوى العقول مرحوما وكان عندهم فى القياس مظلوما ، وقد قال بعض الأعراب : ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد : نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم »(٢١) .

---

(١٩) راجع المصدر السابق .

(٢٠) العقيد : المعاهد .

(٢١) راجع مجموعة رسائل الجاحظ ط ٢

ثم يقول : « فاذا أحسست ـ رحمك الله ـ من صديق بالحسد فاقلل ما استطعت من مخالطته فانه أعون الأشياء لك على مسالمته ، وحصن سرك منه تسلم من شذى(٢٢) شره وعوائق ضره واياك والرغبة فى مشاورته فتمكن نفسك من سهام مشاورته ولا يغرنك خدع ملقه وبيان ذلقه(٢٣) فان ذلك من حبائل ثقفه »(٢٤) ٠

وعلى الرغم مما وقع الجاحظ فيه من هنات مثل : تكرار بعض العناصر وحاجة بعضها الآخر الى تهذيب ، وحسن ترتيب وجمال تنسيق ، فان للرسالة قيمة كبرى اذ هى من الأدب الهادف الذى يرمى الى تحقيق غاية خلقية وهدف اجتماعى واصلاح دينى ، وبهذا اشبهت المقالات التى تتناول الشئون المختلفة للفرد والمجتمع ٠

ومن الجدير بالذكر أن مثل رسائل الجاحظ وأترابه يبدو عليها طولها بعض الشىء ، فأحيانا تبلغ عشرات الصفحات ، لكن المقال فى وضعه الفنى الحديث يتميز بالاختصار وسائر السمات التى أشرنا اليها فى حديثنا عن التعريف به وقد نشأ معاصرا للصحافة التى عرفها العالم العربى فى القرن الماضى وكانت فى بداية عهدها تعتمد عليه اعتمادا كليا حتى نستطيع أن نطلق عليها بحق صحافة المقال ، وظلت تلك الصحافة على حالها من العناية بالمقال فى شتى الأغراض

---

(٢٢) الشذى : الأذى ٠
(٢٣) ذلق اللسان : حديثه ٠
(٢٤) المثقف بحركات : الحذق والفطامة ٠

وبخاصة المقال الأدبي حتى اندلعت الحرب العالمية الثانية فاخذ الخبر يزحم المقال ويحظى باهتمام الصحافة مدة من الزمن كان المقال فيها يحتل دورا ثانويا ، لكن ما لبث المقال أن استعاد مكانته الآن وبخاصة فى المجلات الأدبية ٠

(د) أقسامه :

للمقال اقسام كثيرة تختلف باختلاف وجهة نظر اصحابها فقد قسمه الأستاذ عمر الدسوقى(٢٥) الى : اجتماعى وسياسى وأدبى ٠ وقسمه الدكتور محمد يوسف نجم(٢٦) الى : المقال الذاتى ، ومقال النقد الاجتماعى والمقال الوصفى ، ومقال وصف الرحلات ، ومقال السيرة ، والمقال التأملى ، ثم قسم المقال الذاتى الى : صورة شخصية ومقال موضوعى ، وقسم الموضوعى بدوره الى : نقدى وفلسفى وتاريخى وعلمى ومقال العلوم الاجتماعية ٠ وقد أثبتت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد تقسيما آخر للمقالة عند الأستاذ عمر الدسوقى فى الجزء الأول من كتابه « فى الأدب الحديث » لخصته كما يلى : المقالة الاختيارية والمقالة الوضعية والمقالة الجدلية ونحن نرى أن كل هذه الأقسام يمكن أن تجتمع فى الأنواع الأربعة الشهورة وهى : المقال العلمى والمقال الأدبى والمقال الاجتماعى والمقال السياسى ويكفينا أن نلم بخصائص كل لون من هذه الألوان لبناء تصور عن المقال فى موضوعاته المختلفة ٠

---

(٢٥) نشأة النثر الحديث لعمر الدسوقى ص ١٠٢ ٠

(٢٦) فن المقالة للدكتور محمد يوسف نجم ص ٢٠ ٠

١ ـ المقـال العلمى :

هو ذلك المقال الذى يتناول موضـوعا علميا من بعض جوانبه ليعطى القارىء فكرة عامة عن هذا الموضوع من هذا الجانب ونجـد أمثلة له فى الصحف اليومية وهى تطالعنا بمقـالات فى ألوان من العلوم كالطب متـلا وقـدم عـدة مقترحات وتوصـيات تناط مسـئولية تطبيقها بالحكومات والمنظمات الاقليمية فى العالم الاسـلامى وقسـم التوصيات الى قسمين :

١ ـ قسم يتناول الانتاج والتبادل وأوصى فيه بالعمل على تحقيق الأمن الغذائى فى الدول الاسـلامية ، وانشـاء اتحادات لتنمية الصادرات للحد من تدهور شروط التجارة أمام السلع التى تتحكم فى أسـعارها الدول الصـناعية المتقدمة ، والمساهمة فى تنمية وتطوير ومساعدة الجمهوريات الاسلامية فى أواسط آسيا وانشـاء صـندوق اسـلامى لمساعدة هذه الجمهوريات ، والعمل على ايقاف النقل العكسى للتكنولوجيا المتمثل فى هجرة العقول المفكرة من أبناء الدول الاسلامية للعمل فى الدول الصناعية المتقدمة .

٢ ـ أما القسـم الثـانى فجعله يتعلق بالمجـال المـالى والنقدى فأوصى الباحث باعادة توجيه محركات رأس المـال الاسلامى بحيث تتجه صوب النشاطات القادرة على بلوغ هدف التنميـة المتـكاملة لا سـيما المشروعات الاسـتراتيجية والقطاعات التى تقود النمو وتخدم الدول الاسلامية ككل لا دولة واحـدة . وأوصى كذلك بانشـاء وحدة حسـابية

اسلامية ترتبط بسلسلة مع كل العملات الإسلامية يتم ترجيحها طبقا لأمور معينة ، مثل الناتج القومى الاجمالى والأهمية النسبية للتجارة الخارجية الاسلامية ويحذر الباحث الأمة الاسلامية من التحديات التى تطرحها تطورات النظام العالمى الجديد نجد صحيفة من الصحف أو مجلة من المجلات تناولت بالحديث مرضا من الأمراض توضح فى ايجاز وتسهيل أعراضه وأخطاره وطرق الوقاية منه ووسائل علاجه ، أو موضوعا اقتصاديا مثلا كموضوع الخصخصة أو التوسع فى خلق فرص العمل للشباب أو غير ذلك من

الموضوعات فى شتى فروع العلم ، ويمتاز أسلوب هذا المقال العلمى بالوضوح والعناية بالفكر وابرازها واثباتها بما يلزم من براهين وأدلة واذا كان الموضوع معدا للنشر فى الصحافة العادية ـ غير المتخصصة ـ فانه يكون بعيدا عن العمق والاكثار من التفاصيل ليفهمه القارىء العادى، ويمكنه أن يفيد منه لو أراد تطبيقه ، ومن حيث العبارة يلزمه السلامة ، والصحة اللغوية ولا يعنى كثيرا بالتجويد والتحسين ، وان كان بعض كتاب هذا اللون من المقال قد أوتوا موهبة أدبية بجوار تخصصهم العلمى فيستطيع الواحد منهم أن يصوغ معلوماته العلمية فى أسلوب جميل يسهل معه فهم الحقائق العلمية ، ويخفف من جفافها ويجذب القراء اليها ، أما مقالات المجلات المتخصصة فانها عادة تكون موجهة للمتخصصين فتكون عنايتها بالتفاصيل أكثر واعتمادها على المصطلحات العلمية أوفر .

ولنا أن نذكر ـ هنا ـ جزءا من مقال علمى اقتصادى

بعنوان : العالم الاسلامى من الوجهة الاقتصادية »(٢٧) تناول فيه كاتبه الدكتور محمد ابراهيم منصور : واقع العالم الاسلامى والتكتلات الاقتصادية التى باتت تشكل أبرز ملامحه وقال فى ذلك : « ويقينا فان الأقطار الاسلامية لا يمكنها أن تغالب هذه التحديات فرادى وانما عبر صيغ جماعية تنصهر فيها ارادة العمل المشترك ، وتتدرج فى صعودها من التعاون الى الوحدة بحيث يفضى العمل الجماعى فى النهاية الى قيام السوق الاسلامية المشتركة وظهور الجماعة الاقتصادية الاسلامية لتصبح ركنا فى بناء نظام اقتصادى عالمى عادل يحقق المساواة فى توزيع المنافع بين الدول المتقدمة والدول النامية اسلامية وغيرالاسلامية»(٢٨)

٢ ـ المقال الاجتماعى : وهو الذى يتناول المشكلات الاجتماعية يحللها وينبه المجتمع الى ظواهرها ، ويحذره من أخطارها ، ويرسم طريق علاجها ، وقد كثر هذا النوع من المعانى كثرة ظاهرة فى العصر الحديث نتيجة نمو الوجدان الاجتماعى ، ويقظة النابهين من أفراد المجتمع الى تلك المشكلات واصرارهم على تخليص المجتمع منها حتى يلحق بركب الحضارة المسرع فى تقدمه ، وأسلوب هذا اللون من

---

(٢٧) مجلة الأزهر العدد ٦ الصادر فى جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ص ٨٨٥ ، ٨٨٦ .

(٢٨) مجلة الازهر العدد ٦ الصادر فى شهر جمادى الاخرة ١٤١٣هـ ص ٨٨٦ والمقال للدكتور / محمد ابراهيم منصور استاذ الاقتصاد بكلية التجارة جامعة أسيوط .

المقال يتطلب صحه العبارة ووضوح المعنى وسلامه الحجج والبراهين ، ويخاطب العقل بالمنطق الصحيح ، ويبنى المسببات على اسبابها فلا يركن الى الأقيسة الشعرية والخيال المجنح الا اذا قصد الى اثارة العواطف للاقلاع عن خلة مرذولة أو الاسراع الى فضيلة محمودة ، وهو بعيد عن الزخارف اللفظية ووسائل الزينة البديعية والبلاغية الا ما جاء منها عفو الخاطر • ونسوق مثالا لهذا اللون من المقال ، قول الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح فى مقال تعرض فيه لمسألة « الرشوة وعواقبها الوخيمة »(٢٩) :

١ ـ الرشوة اثم كبير وظلم كثير وسمت حرام واختلاس للأموال بالباطل •

٢ ـ قبيح بنا أن نتقدم بالرشوة : الى من بيده انجاز أعمالنا ونحاول أن نستميله لأخذها فنجنى عليه شر جناية ونعوده على مخالفة القوانين القاضية بتحريمها ونعلمه الطمع والجشع وفى هذا افساد لنفسه وتخريب لأمته وبيع لضميره بدراهم معدودة •

٣ ـ الهدية التى تقدم من العامل لرئيسه : تعتبر(٣٠) رشوة ، فعن أبى حميد الساعدى « هدايا العمال سحت » رواه أحمد •

---

(٢٩) راجع مجلة الازهر العدد الخامس الصادر فى جمادى الاولى ١٤١٣ هـ ص ٧٠٦ ، ٧٠٧ •

(٣٠) « تعد » أحوب فى التعبير من (تعتبر) لان الاخيرة من الاعتبار بمعنى الاتعاظ •

٤ ــ ان الوعظ وحده لا يكافح الرشوة وانما الذى يكافحها هو الخوف من الله ومراقبة الديان ، الذى سيحاسب كل انسان على ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه والا فان فى القانون ردعا لأولئك الذين لا ضمائر لهم »(٣١) .

٣ ــ المقال السياسى : يتناول مشكلة حزبية ، أو فكرة سياسية أو وطنية أو دولية ، ويهاجم الاستعمار على اعتدائه على الحريات ، ويبصر الجمهور بما يحيط ببلاده ويستثيره للذود عن مقدساته ، والمقالات السياسية برزت فى عصرنا الحديث مواكبة لظهور الأحزاب فكان كتاب الاحزاب يتجهون اليها لشرح مبادىء الحزب وتأييد آرائه والدفاع عنه وعن مبادئه أمام هجمات كتاب الأحزاب الأخرى ، وغلبة المقالات السياسية الجزئية لم تمنع ظهور مقالات سياسية تكافح فى ميدان سياسى قومى ضد الاستعمار كشفا لسوء نيته وفضحا لمؤامراته ، ودعوة المواطنين للوقوف أمام أطماعه ومضاعفة الجهد من أجل قهره والانتصار عليه ، وكثير من مقالات السيد جمال الدين الأفغانى وتلاميذه من أمثال الامام محمد عبده والجيل الذى عاصر اليقظة القومية الوطنية فيما بين الحربين العالميتين . تعد أمثلة صادقة للمقال السياسى . ويمتاز المقال السياسى بالوضوح والسهولة ، حتى يكون معناه فى ظاهر لفظه ، فلا مجال للعمق فى المعانى ، ولا وقت للعناية بالعبارة عناية ترتفع بها الى درجة عالية فى البلاغة ، والقارىء نفسه انما

---

(٣١) مجلة الازهر العدد الخامس ١٤١٣ هـ ص ٧٠٧ .

يقرأ هذه المقالات لوقتها ، فهو ليس مستعدا لكل ذهنه فى فهمها وارهاق أعصابه فى الغوص وراء معانيها ، والمقال السياسى أشبه ما يكون بالخطبة فى اعتماده على الأدلة الخطابية ومخاطبة عواطف عامة الشعب من أجل التأثير فيهم وكسب آرائهم الى رأى الكاتب ومن هنا كان اعتماد المقال السياسى على المنطق يسيرا . ولا يجد كاتب المقال السياسى نفسه مضطرا الى السمو بأسلوبه من حيث الصياغة اللفظية فلا يركب خيالا مجنحا ، ولا يسعى وراء محسنات لفظية أو معنوية ويكفيه فى اختيار ألفاظه أن تكون معبرة عن قصده بطريق مباشر ، وهذه الخصائص التى اتسم بها المقال السياسى انما هى سمات غالبة ، ولكن لا يعنى ذلك عدم وجود مقالات لبعض الكتاب فى السياسة قد وفروا لها قدرا كبيرا من الجمال الأسلوبى والعناية اللفظية حتى تستحيل مقالاتهم السياسية الى صور أدبية رائعة فى الأسلوب مع احتفاظها بمعالجة الغرض السياسى فى معناها .

ومن أبرز كتاب هذا اللون من المقالات الشيخ على يوسف فى جريدته « المؤيد » ومصطفى كامل فى صحيفته «اللواء» ومن المعاصرين عبد الله عبد البارى وابراهيم نافع فى صحيفة الأهرام ، وابراهيم سعدة فى الأخبار ، وحافظ محمود فى الجمهورية وغيرهم وقد كتب محمد حسين هيكل تحت عنوان « الملك ، الدستور ، الوفد ، سعد زغلول » فقال : « نحن نرى ونجهر بما نرى أن هذا الدستور فى جملته خير يحقق سلطة الأمة وأن تنفيذه وحده هو الذى سيمكن من ظهور ما فيه من عيوب يمكن تعديلها ، هذا رأينا فى الدستور فنحن لا ننكره

ولا نطالب بتعديله الآن ، ولكن سعدا ينكر الدستور ويطالب بتعديل الدستور ، ونسيم يصفق لهذا الانكار وهذا التعديل ولكن الناس لا يقرؤن الضمائر وانما يأخذون رجال السياسة بما يكتبون وما يخطبون »(٣٢) ٠

ويوضح موقفه من الصراع الحزبى واتهام الوفديين له بالخيانة والمروق من الوطنية فيقول : « نكيل لهم الصاع صاعين ، من غير أن ندفع تهمة بتهمة أو باطلا بباطل كنا نصيح بهم : أن من اتهم مصر بالخيانة فهو الخائن لأنه يزعزع عقيدة الأمة فى أكرم بنيها ، فيفشى فيها أسباب العنف والهزيمة »(٣٣) ٠

ومن المقالات السياسية الحديثة ذلك المقال للأستاذ الدكتور / محمد كمال أبى المجد بعنوان : « نظرة الى مستقبل المسلمين » قال فيه : « من علامات التراجع الحضارى فى حياة الأمم أن يفقد آبناؤها الثقة في حاضرهم ، وأن يتعاموا عن النظر الى مستقبلهم وأن يفروا من الحاضر والمستقبل معا الى الماضى بمن كان فيه وما كان فيه ٠ ولا يستطيع المسلم الصادق أن يفلت من الاحساس الغامر بالحزن والأسى وهو يرى حوله شعوبا تنطلق متسابقة الى أمام ٠٠ همتها مشغولة بالغد والمستقبل وأبصارها معلقة بالأفق البعيد ، والعرب والمسلمون ينكسون الرءوس أو يلوونها الى وراء فينبشون قبورهم بأيديهم ، أو ينقبون عن درر

---

(٣٢) راجع السياسة الصادرة فى ١٩٢٣/١٠/٢ م ٠
(٣٣) راجع مذكرات هيكل جـ ١ ص ٢٧٥ ٠

تركها الأولون ، أجيال هناك من الناس والشعوب تحقق بالعلم وسلطان العقل ثورات متعاقبة فى تاريخ الانسان تضيف بها حلقات جديدة فى سلسلة اكتشاف الوجود والتعرف على سنن الله الضابطة لحركة الكون والناس وتذليل الأرض وتسخيرها كما أذن الله ، وأكثر المسلمين مشغولون بالنظر الى الماضى منكفئون على أحداثه وقضاياه مذهولون بذلك كله عن حاضرهم »(٣٤) ويرى أن عناصر الأزمة فى حاضر المسلمين تنحصر فيما يلى :

١ــ اضطراب فكرى وخلل ثقافى فى فهم الاسلام نفسه وتحديد مهمة المسلم فى الحياة وهو اضطراب أفقد الأمة وحدتها الفكرية والنفسية .

٢ ــ تفرق والتفاف حول حدود اقليمية وقطرية ضيقة سقط معه من النفوس والعقول معنى « الأمة » واشتغل فيه كل أحد « بخلافه الفردى » تاركا أمر « جماعة المسلمين » تحت رحمة الآخرين .

٣ ــ عزلة عن العالم واستخفاف بمسيرة الحضارة ورفض للآخرين .. تحت شعارات « تميز المسلمين » واختلافهم عن سائر الناس ...»(٣٥) كما أنه يضع العلاج لازمات المسلمين فى ثلاث نقاط هى :

---

(٣٤) راجع مجلة الازهر العدد السادس السنة الخامسة والستون الصادر فى شهر جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ ص ٨٣٧ ــ ٨٣٨ .

(٣٥) راجع مجلة الازهر العدد السادس ١٤١٣ هـ ص ٨٣٨ .

١ ــ أن يعمل العلماء مع أولى الأمر على التعجيل باحتواء الخلافات التى طغت على سطح حياتنا العربية والاسلامية بين أقطار المسلمين ٠

٢ ــ أن يبادر العقلاء الى فض الاشتباك القائم بين الحكومات الاسلامية والعديد من روافد العمل الاسلامى ٠

٣ ــ أن تبدأ ــ بعد ابطاء ــ حركة اتصال بالعالم لرد عادية التشويه والتزييف عن الاسلام والمسلمين ففى اطار تلك العادية تستباح حقوق المسلمين ويناصبون العداء»(٣٦)

٤ ــ المقال الأدبى : الذى يدرس شخصية أو ظاهرة أو اتجاها أو أثرا فى الأدب والنقد أو يتناول الفنون الجميلة والنظريات الفلسفية الاجتماعية التى ترسم خطى المثل العليا : الخير والحق والجمال ، وقد ازدهر فن المقالة فى العصر الحديث حتى زاحم الشعر فى ميدانه وشرع الأدباء يدبجون المقالات الأدبية فى موضوعات كانت من قبل وقفا على الشعر مثل التعبير عن العواطف المختلفة كالفرح والحزن والحنق على العدو ، وتناولت المقالات موضوعات شعرية أخرى مثل وصف البؤس والفقر والحرب ٠٠ ووصف مظاهر الطبيعة من رياض وأنهار ومزارع ، ووصف الرحلات والأمكنة والبلدان ، وهذه الموضوعات لطبيعتها الشعرية اقتضت من كاتب المقال أن يسلك فى أسلوبه مسلكا شعريا فأصبح يعتمد على التأنق فى العبارة وتخير الألفاظ والعناية بالموسيقى وبذلك أصبح

---

(٣٦) المرجع السابق ص ٨٤١ ٠

للمقال وقع فى النفوس جميل ونبرة حلوة مستساغة فى الآذان ومن هنا أصبح المقال الأدبى قادرا على نقل انطباعات الكاتب الى القارىء كما أحس هو بها ، لأن هذه الوسائل الشعرية التى يرتكز عليها المقال الأدبى هى وسائل التعبير عن العواطف ونقل المشاعر والأحاسيس ، ولذلك كله لم تعد المحسنات البديعية غريبة عليه ما دامت غير متكلفة ، ولا مبالغا فيها . ومن هذه المقالات الأدبية التى تحمل شحنة عاطفية وتكشف عن علم من أعلام الأزهر النابهين ، ذلك المقال الذى كتبه الأستاذ / عبد الحفيظ على القرنى فى مجلة الأزهر بعنوان : الأديب الشاعر والخطيب الثائر » يتحدث فيه الكاتب عن الأستاذ الدكتور / مصطفى محمود يونس ـ رحمه الله ـ فيقول : « فى اقليم أسيوط الذى ينتسب اليه علامة القرن التاسع الهجرى الامام جلال الدين السيوطى ولد الدكتور / مصطفى يونس فى الرابع عشر من أغسطس سنة ست وعشرين وتسعمائة وألف ... فى مدينة أبو تيج جنوبى أسيوط بحوالى ثلاثين كيلو مترا على الشاطىء الغربى للنيل ... » (٣٧) ثم يتحدث عن ثورة مبكرة فيقول :

« فى عام ١٩٤٥ م بعد ان انتهت الحرب العالمية الثانية ظهرت فى البلاد صحوة تنادى الانجليز بالجلاء عن البلاد وتدعو الى الاستقلال ولكن الانجليز كعادتهم أخذوا

---

(٣٧) راجع مجلة الازهر الجزء السابع الصادر فى رجب ١٤١٣ هـ ص ١٠٢٤ .

يماطلون ويسوفون فاشتعلت (٣٨) ثورات فى مختلف البلاد وتخلفت الحكومات المتعاقبة اذ ذاك باخمادها ولكن الثورة التى اشتعلت فى أسيوط لم تخمد لأن شباب المعهد الدينى هم الذين كانوا يقودونها وفى مقدمة هؤلاء الشباب الدكتور / مصطفى يونس الذى كان لخطبه الرنانة فعل السحر فى اشعال نار الحماس والوطنية فى النفوس ... وتألف وزارة النقراشى فى أوائل ديسمبر سنة ١٩٤٦ وقرر الطلاب فى معهد أسيوط أن يسيروا فى مظاهرة سلمية تهتف للجلاء ووحدة وادى النيل والتاج الواحد والشعب الواحد والاستقلال . ولكن قوات البوليس تجمعت أمام المعهد الدينى لتسد الطريق أمام هذه المظاهرة السلمية ... وما أن تجاوزت المظاهرة سور المعهد بخطوات حتى فوجئت بالنيران تفتح عليها من جانب البوليس فقتل من قتل من الطلاب ومنهم من ألقى بنفسه فى النيل ومنهم من فر هاربا على وجهه وكانت مأساة فظيعة أهاجت الرأى العام . وتولى الدكتور مصطفى يونس ـ وكان أحد الناجين من القتل فى المظاهرة ـ مهمة ابلاغ نبأ هذه المأساة الى أسماع المسئولين فى القاهرة وأعضاء البرلمان فأصدر بيانا وطبعه صدر بالآيات الأولى من سورة القصص . وجاء فى هذا البيان : ياشيوخ الأمة ونوابها ويأيها الشعب العزيز انتهت الحرب وقامت كل أمة تأخذ بحقها فى تقرير المصير ، ولم تكن مصر بدعا فى الأمم وهى منشئة الحضارة

---

(٣٨) المرجع السابق ص ١٠٢٥ .

الأولى وصاحبة الصدارة فى مجد التاريخ ، فهبت تعلن حقها المجدد بالجلاء ووحدة وادى النيل وخرجت طلائع الشباب متتابعة الزحف مكتملة الوعى ، مشبوبة العزم تعلن اصرارها على الحق ومضيها فى النضال حتى يتحرر الوطن العزيز ، ووقعت أحداث وسالت دماء وجرت أمور وراحت وزارة وجاءت وزارة وانتهى الأمر بمشروع «بيفن» المشهور وتكشفت نوايا الانجليز عن الحماية المقنعة بلجنة الدفاع ... وكان لابد لنا ـ نحن أبناء الأزهر ـ الذى ربى النهضة الأولى فى رحابه وغذاها بمنبره العالى ودمه الغالى ، كان لابد لنا أن نعلق رأى الأمة بصوتنا ، وان ننفخ فيها من روحنا ، وكذلك فعلنا وعلى ذلك عزمنا ...» (٣٩) .

وجاء فى نهاية هذا البيان الذى يدل على ملكة بيانية وموهبة خطابية ما يلى : ـ

« أما شيوخ الأمة ونوابها فنحن نتقدم اليهم بهذه الحقائق الأليمة وهى بعض ما قد كان ، وننتظر منهم أن يقوموا بحقن هذه الدماء التى أريقت والأرواح التى أزهقت فانما كانت حياتها للامة وهتافها للوطن ، وأن يرفعوا أصواتهم لتأديب المعتدين وعهدنا مع الله نجدده ونؤكده أن نكون للوطن جنود وللنيل فداء والسلام» (٤٠) .

على أن المقال الأدبى فى أيامنا تطور كثيرا اذ أصبح

---

(٣٩) راجع مجلة الازهر الجزء السابع الصادر فى شهر رجب ١٤١٣هـ ص ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ .

(٤٠) المرجع السابق ص ١٠٢٧ .

يفيد من العلم فى شتى نواحيه فلم يعد مجرد موضوع انشائى جميل الاسلوب لكنه خال من دراسه مفيدة ، لا . لم يعد كذلك بعد أن أصبح الأدباء الأصلاء حريصين على التزود من علوم العصر وآدابه وفلسفاته بجوار تمكنهم من أساليب اللغة ، فأثروا بذلك مقالاتهم وأصبحوا يتناولون فيها كل شىء فى الحياة بأساليبهم الناصعة البيان • « فأخذ الأدب الجديد يعالج كل مشاكل الحياة والموت والزواج والأسرة ورغائب النفوس ، وقضايا المجتمع وصار يتزود من العلم والتجارب والملاحظة ، ولم يعد يكتفى بالفكرة الفجة والعبارةالجوفاء ••• كما أن انتشار الثقافة وعمقها بين الأدباء والكتاب يحد من الاغراض فى المحسنات ويؤدى بطبيعة الحال الى دقة التعبير واتزان العاطفة ووحى القلب ، ولكن الأدبليس محضشعور ، وانما هو عقل كذلك ، فالأديب يحس ويفكر ، والتوازن بين احساسه وفكره لابد منه » (٤١) •

(د) أسلوب المقال المعاصر :

لقد حفلت الرسائل والفصول ـ التى خلفها أسلافنا ـ بموضوعات حية مفيدة أنفرد الشعر بها ـ كالغزل والمديح والوصف والفخر والهجاء ـ تحمل سمات المقال وتبدو فيها خصائصه ، ومن هنا كانت أقرب فنون النثر الى الشعر ، ولولا تكلف الأدباء منذ أوائل القرن السادس

---

(٤١) نشأة النثر الحديث وتطوره ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ •

الهجرى للمحسنات اللفظية لتطورت الرسالة وكانت المثل المبكر لفن المقال ٠

وقد بدأ كتاب المقال فى العصر الحديث يسلكون فى أسلوبهم طريقة أسلافهم ــ فى العصر السابق ٠ القائمة على السجع والعناية بالزخرفة اللفظية حتى حضر السيد / جمال الدين الأفغانى الى مصر واشتد اتصال العرب بالثقافة الغربية وزاد اطلاع المثقفين وكتاب المقالات على الصحافة الغربية وما يكتب فيها من مقالات تعالج شتى مناحى الحياة ثم ما تطلبه الصحافة فى عصر ازدهارها من الكتابة السريعة لتلبية مطالب الحياة سريعة التغيير فى عهد مناهضة الاستعمار والعمل الحثيث على نقل ثقافة الغرب ومظاهر حضارته بسرعة فائقة ، كان لكل ذلك أثره فى اعتماد المقال على أسلوب مسترسل لا يهتم كثيرا بالسجع والمحسنات ووسائل الصناعة اللفظية ٠

ولقد حدث هذا التطور سريعا على مدى جيل واحد فحسب ويمكن أن نسوق شاهدا على ذلك من أدب المقالة عند الامام محمد عبده الذى بدأ حياته الأدبية بكتابة مقالاته بالأسلوب التقليدى القديم الذى أشرنا اليه آنفا ولكنه ما لبث ــ بعد أن تتلمذ على السيد جمال الدين الأفغانى ــ أن برع فى كتابة المقال بالاسلوب الحديث ، وقد نشرت جريدة الأهرام فى الثانى من شهر سبتمبر سنة ست وسبعين وثمانمائة وألف من الميلاد مقالة له كتبها تحية للجريدة جاء فيها : « انه لما نظر لدى كل قاص ودان واشتهر بين

بنى نوع الانسان أن مملكة مصر كانت فى سالف الزمان مملكة من أشهر الممالك ، وكعبة يؤمها كل سالك وناسك ، واذا كانت قد اختصت بتربية العلوم وبث المعارف المتعلقة بالخصوص والعموم وانفردت بالبراعة فى الصنائع والابتكار فى أنواع البدائع فكان أبناء العالم اذ ذاك ينتدون نداها ويستجدون جداها يستمطرون من الغيث قطرا ويستمدون من المحيط نهرا » (٤٢) ٠

وهذه كانت مقدمة المقال ، التزم فيها السجع لذا جاءت طويلة مملة اذ لا تحوى جملها الكثيرة سوى معانى قليلة ، وكان ذلك بسبب الحرص على السجع والمحسنات البديعية فى تكلف ظاهر ٠

وأخيرا وصل الى غرضه من مقاله وهو مدح الصحيفة والاشادة بها فشرع يقول : « فيالها من جريدة أسست قواعدها فى القلوب وامتدت مبانيها لكشف الغيوب ، تنادى بمقالها وحالها : حى على الفلاح ، وهلموا الى موارد النجاح لا تقفوا عند صورة المبنى ولكن تجاوزوا عنه الى المعنى ، تلك أوهام أشباح وهذه غذاء أرواح ، تلك ظواهر صور وهذه دقائق عبر تلك مساكن أموات وهذه لسان سر السموات ٠٠٠ » (٤٣) لكن هذا الأسلوب المسجوع للامام ما لبث أن تطور فى جريدة الوقائع المصرية التى يرأس

---

(٤٢) راجع نشأة النثر الحديث لعمر دسوقى ص ٦٤ ، ٦٥ ٠

(٤٣) المرجع السابق ص ٦٥ ٠

تحريرها فأصبح مرسلا ، وان فضل المزاوجة فقد هجر الغريب حتى يفهمه قراء الصحيفة من عامة المثقفين ٠

وقد كتب مقالا بعنوان « الرشوة ، جاء فيه : « قد تقرر فى عقول جهلة العوام ان الرشوة هى السبب الوحيد للخلاص من أية جريمة يرتكبونها ، فيقدم الواحد منهم على ما يخالف الأصول المتبعة أو يخل بالأمن والسكينة أو يهتك حرمات الحقوق ، اتكالا على ما يضمره فى نفسه من أن الرشوة كافية للنجاة من العقاب ، أو الحصول على غرضه بأى وجه كان ٠

وقد غلب على عقول العامة أن كل صاحب وظيفة ميرية وغير ميرية لا يصح أن يقطع أمرا فى مصلحة لأحد الا بالرشوة ، ولذلك يرون أنه من الوجوب على من التمس انجاز أى عمل يتعلق بمصلحة أن يقدم الى صاحب الوظيفة رشوة تبعثه على مباشرة ذلك ، غير ملتفت لما تطالبه به واجبات المصلحة التى انطبقت بذمته على أجر يتقاضاه فى رأس كل شهر ، ولذلك صار أمر الرشوة بينهم من قبيل العوائد التى لا تشمئز منها طباعهم ٠

ولا يستنكرها أحد منهم ، بل كادت من الوسائل المحمودة لنجاح المقاصد ودفع الفوائد ٠٠٠ » (٤٤)

وقد ألهبت ثورة ١٩١٩ م حماسة الكتاب المصريين فنشطوا فى كتابة المقالات النارية التى تذكى وقود الثورة

---

(٤٤) نشأة النثر الحديث وتطوره لعمر الدسوقى ص ٦٦ ، ٦٧ ٠

وتقض مضاجع المستعمرين حتى أصبح من اهم آثار تلك الثورة ظهور عديد من الصحف التى اصبحت منبرا عاليا تذاع من فوقه المقالات فترقى وتزدهر حتى ليقول المازنى فى محاضرة له سنة ١٩٤٩ م بعنوان الصحافة فى ربع قرن : « كانت الصحافة قبل ربع قرن والى عهد غير بعيد صحافة رأى ، أى أن همها كان ابداء الرأى الذى يعن لها فى الشئون العامة ، ولهذا كانت المقالة هى أهم ما فى الجريدة ، وهى التى كان عليها المعول ، وما عداها فشأنه ضئيل نسبيا » (٤٥) وارتقى فن المقالة نتيجة هذه العوامل ، وأصبح يتميز بالتركيز والدقة العلمية ، مهتما بنشر الثقافة العامة لتربية أذواق الناس وعقولهم ،صطنعا الأسلوب الأدبى الحديث • يقول الآستاذ / محمد يوسف نجم فى كتابه « فن المقالة » : « وامتازت المقالة فى هذا الطور بالتركيز والدقة العلمية ، والميل الى بث الثقافة العامة لتربية أذواق الناس وعقولهم •

أما أسلوبها فهو الأسلوب الأدبى الحديث الذى عرف به محررو هذه الصحف وقد كان منهم نفر من أقطاب المدرسة الأدبية الحديثة •

ويلاحظ على وجه العموم أن طريقة الكتابة سواء كانت صحفية أو أدبية أو اجتماعية قد تغيرت تبعا لتغير طريقة التفكير ، نتيجة ازدياد الثقافة والاهتمام بالقضايا العامة،

---

(٤٥) الاساس ص ١٢ العدد ٥٨٤ الصادر فى ١٩٤٩ م •

والعمل الجاد لانها من الأمة فى شتى مجالات الحياة ، فصارت عبارات الكتاب تميل الى القصر ، وتحبس كل جملة منها على معنى واحد .

واعتماد لون طريف فى ترتيب الكلام وتبويبه ، وسور المقال فى الغالب لأداء فكرة واحدة ، واستحداث صيغ جديدة لأداء معان حديثة والتخلص من الكلمات الدخيلة والأساليب القديمة الرثة ، أو الأساليب التى لا تتفق مع قواعد العربية والتجوز بكثير من المفردات لاصابة ما لا تعلو له بأصل الوضع اللغوى » (٤٦) .

(هـ) منزلته بين الفنون النثرية :

منذ بداية العصر الحديث ومكانة فن المقال تسمو وترقى بين فنون القول المختلفة وما ذلك الا لطبيعته الخاصة القائمة على الاختصار والسرعة فى تناول الأفكار والآراء مما يجعله قديرا على تلبية حاجات العصر من ألوان الثقافة الأدبية والعلمية والاجتماعية والسياسية ، وبخاصة بعد أن أصبحت تلك الأمور أهم موضوعات الصحافة من جرائد يومية الى مجلات دورية منذ ظهورها مع مطالع العصر الحديث حتى الآن .

واذا كانت الصحافة تمثل غذاء ثقافيا تحتاج اليه

---

(٤٦) راجع نشأة النثر الحديث وتطوره للاستاذ عمر الدسوقى ص ١٠٢ .

الشعوب صباح مساء ، فان أهم ما تحفل به تلك المادة الثقافية المستديمة ، هو فن المقال ، كان ذلك فيما سبق والصحافة حديثة ، أما الآن بعد أن حظت الصحافة خطوات واسعة فى طباق التطور ، فبجانب ما تزخر به صحافة اليوم من التقريرات والتحقيقات الصحفية الطويلة والخاطرة الوجيزة ، فان المقال ما يزال يحتفظ بمكانته فى الصحافة وبمكانته فيها ، ويجدر بنا أن نقول : ان بعض ألوان من المقال فى الموضوعات المختلفة لم تتوفر فائدتها على تثقيف الجيل المعاصر لنشرها ، بل ظلت الى يومنا هذا مصدر تنوير وامتاع للاجيال المتعاقبة ، اذ جمعت تلك المقالات الممتازة فى كتب مازالت حية الى اليوم من هذه الكتب على سبيل المثال : « وحى القلم » لمصطفى صادق الرافعى ، « وحى الرسالة » لاحمد حسن الزيات ، « وفيض الخاطر » لأحمد أمين ، وغير ذلك كتب كثيرة للمنفلوطى والعقاد وطه حسين وغيرهم .

وفى موكب التطور الصحفى أصبح للمقال — فى ظل الصحافة المعاصرة — أصول ثابتة ، وقواعد مرعية بعد انشاء قسم الصحافة بجامعات مصر ، وبرز أساتذة متخصصون فى مجال الصحافة ، وبذلك تحولت الصحافة من الممارسة المكتسبة بالتلقى الى الممارسة القائمة على النظم والتقاليد الجماعية ، ومن ثم أصبحت صحف اليوم من أقوى وسائل الاعلام ، وأقدرها على تكوين الرأى العام لتأثرها به وتأثيرها فيه ، وتهتم صحف اليوم فى المقام الأول بالأعمدة الافتتاحية والاخبار والتعليق عليها ، ونشر

الصور الهزلية و« الرسوم الكاريكاتورية » (٤٧) ويصوغ كتابها موادها فى شكل طرائف او أحاديث او تحقيقات او تقريرات أو مقالات أو استطلاعات ذات ألوان شتى بقصد التوجيه والأرشاد والتثقيف ، كما يعنى المقال الصحفى اليوم أول ما يعنى بأخبار العالم وأهم الحوادث اليومية : داخلية أو خارجية ، رسمية أو شعبية ، لذا كان لابد أن ينزل الكاتب لمستوى الجمهور فى الفهم والادراك بحيث لا يتكلف فى ألفاظه فتأتى أفكاره واضحة ومعانيه سهلة أثناء قراءتها .

وأهم ما يميز صحف اليوم اشتمالها على العمود الصحفى الذى يقوم على الخاطرة التى هى بداية الافكار والحقائق . وهى أى الخاطرة : « لمحة ذهنية خاطفة لحادث عرض ، تحمل مشاعر الكاتب ازاءه ، وتخلو من الأسانيد ولا تحتاج الى حجج على صدقها ولا تتجاوز — غالبا — عمودا فى الصحيفة » (٤٨) .

وقد نشأت فى ظل الصحافة المعاصرة وجاءت تحت عناوين ثابتة لا تتغير من يوم لآخر ، وتطالعنا صحفنا اليومية الشهيرة — فى مصر — الأهرام ، الأخبار ، الجمهورية ،

---

(٤٧) « الكايكاتور » : مشتق من كلمة « كاريكاتير » اللاتينية أو الايطالية . وهو عبارة عن صورة موصية يراعى فيها التهويل فى ابراز السمات الواضحة أو الشاذة بغية أحداث أثر ضاحك أو ساخر .

(٤٨) راجع المقال وتطوره فى الادب المعاصر د السيد أبو ذكرى ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

بالعناوين الثابتة كل يوم ففى الأهرام صندوق الدنيا ، لأحمد بهجت ، ومجرد رأى لصلاح منتصر ، ورأى الاهرام ، ومواقف وغيرها وفى الأخبار وأخبار اليوم نجد الخواطر التالية : كلمة اليوم ، وما قل ودل للاستاذ احمد الصاوى « ونحو النور » لمحمد زكى عبد القادر ، وعلامة استفهام ، وفى أخبار اليوم : آخر عمود ، العزف على الهواء ، مواجهة ، ورأى بالعربى ، وجولة الفكر ، ونحو الغد .

وفى الجمهورية نجد الخواطر الثابتة التالية : صواريخ ، لابراهيم الوردانى وقطر الندى لعبد المنعم الصاوى ، والجمهورية تقول ، والعلم والحياة لعواطف عبد الجليل ، وخواطر سريعة ، ومن الذاكرة ، ومن القلب ، وغيرها .

هذا ... ويختلف المقال عن الخطبة فى أن الخطبة يواجه الخطيب بها السامعين فيستطيع أن يستعين بالاشارة ونبرات الصوت ، وتعبيرات الوجه .

ولكن كاتب المقال محروم من هذه المميزات فلا مناص من أن يعتمد كلية على ما يسجله من كلام مكتوب ، كذلك الخطيب يستطيع أن يعدل من أفكاره طبقا لحال مستمعيه وظروفهم ويختصر أو يطيل حسبما يراه مناسبا : لكن كاتب المقال يكتب مقاله ويفرغ منه قبل أن يلقى به القارئين .

كما يختلف المقال عن القصة والأقصوصة والمسرحية ، فهذه ألوان من النثر تعبر عن المعانى والأفكار بالأحداث والاشخاص ، واذا كان هناك سرد فانه يكون على ألسنة

الأبطال ، لكن صاحب المقال ليس أمامه سوى الكلام عن لسانه هو يعبر به عن كل معنى أو فكرة .

ويتميز المقال عن « الخاطرة » فامور منها : إن الخاطرة فكرة تطرأ على صاحبها عرضا ولم تختمر فى ذهن صاحبها كالمقال ، انما هى لمحة التقطها ذهن الكاتب فعبر عنها فى ايجاز واختصار ، فهى أقصر من المقال ، اذ تجاوز ـ فى العادة ـ نصف عمود فى الصحيفة أو عمودا فى المجلة ، وهى لا تحتاج الى الأخذ والرد والبراهين والاسانيد . كما فى المقال ، وللمقال عنوان بخلاف الخاطرة التى لا تعطى عنوانا خاص بموضوعها ، ولكن تكتب تحت عنوان ثابت لا يتغير من يوم لآخر .

ولا يخفى علينا أن المقالات بألوانها المختلفة لها دور هام فى خدمة البحث العلمى وطلاب الدراسات العلا ، اذ تعد بمثابة مرحلة متقدمة لكتابة أبحاثهم المطولة المتعمقة، فى مرحلة تالية من مراحل البحوث العلمية المتكاملة .

وبعد ... فهذه اطلالة سريعة على المقال فى صورته القديمة فى عصور نشأته وتطوره حتى وصل الى ثوبه القشيب وحالته المعرفة النافعة ومكانته السامية بين فنون النثر فى العصر الحديث ، فى مختلف الصحف والمجلات الدورية المتخصصة ، أرجو أن أكون قد وفقت فى ابراز ما هدفت اليه واظهار ما عزمت عليه من خدمة البحث العلمى فى شتى مجالاته .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا .

دكتور عبد الجواد أحمد محمد أحمد